الايمـان والتطـور العلـمي

أ. د. محمد عبد الستار نصار
الأستاذ بقسم العقيدة والأديان
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعـة قطـر

مقدمـــة

يعـالج هذا البحث ، العلاقة بين التقدم العلمي والإيمان ، ويقف أمام دعوي أولئك الذين يزعمون أن العلم قد حل كل المشكلات التي كانت تفسر بالأمس باسم الدين ، يفند تلك الدعوى ، مسترشداً بأهم الإنجازات العلمية التي ظهـرت على أيدي البـاحثـين الأثبـات ، الـذين خلصت منـاهجهم من التعصب ، فأداهم هذا ، إلى نتائج إيجابية مبهرة تؤكد العلاقة الوثيقة بين أطراد العلم وقوة الإيمان في القلوب مما يتأكد معه أن العلم الذي كان يقال عنه بالأمس على ألسنة بعض المتسرعين أنه أصبح انفجاراً معرفياً في وجهه الدين ، هو نفسه الذي يقول اليوم على ألسنة بعض المتثبتين المنصفين أنه كشف عن مجاهيل تؤكد الإيمان وتدعمه .

إن اطراد العلم التجريبي وتقدمه في يوم الناس هذا ، أصبح حقيقة من الحقائق التي لا يمكن إنكارها ، وذلك بفضل جهود كثير من العلماء ، الذين بذلوا كل طاقتهم في البحث ، حتى أمكنهم الوصول إلى نتائج حاسمة . في جميع الدوائر العلمية ، وعلى مستوى التخصصات المختلفة ، بدءاً من دراسة الخلية وخصـائصهـا وانتهـاء بدراسة الإنسان ككيان عام . ولا يزال صدى البحوث الجديدة فيما يعرف بالهندسة الوراثية ، يتردد بين جنبات الأكاديميات ومؤسسات البحث ، التي تعني بمثل هذا النوع من الدراسة .

ومما لاشك فيه أن هذا التقدم الهائل في هذا الميدان له أثره على الدين إيجاباً وسلباً ، ولعل تنوع هذا الأثر إنما يرجع إلى تنوع المنطلق الأساسي الذي يبدأ منه الباحث تجاربه وبحوثه . فالباحث المادي الذي لا يؤمن بما وراء الحس ، يحاول أن يجذب نتائج بحوثه لتدعيم موقفه هذا . الذي يتمرد على قضية الإيمان بقوة غير منظورة ، هي التي خلقت هذا الكون وتدبر أمره . ويرجع هذا وذاك إلى

المادة ذاتها ، فهي في نظره وحسب منطقه ، الخالقة والمخلوقة معاً . بل قد يقول بعض ممثلي هذا التوجه - بشيء من السذاجة التي لا تخفي على العقلاء - هكذا وجدنا العالم ، وهكذا نراه . وهذا - لعمري - خطأ جسيم في منهج البحث لأنه يخرج بصاحبه عن دائرة الموضوعية والحيدة ، إلى دائرة الذاتية والتعصب .

ولا يقل عن هذا الموقف - من حيث المنهج - خطأ موقف المتدين ، الذي يحاول - بطريقة غير علمية - جذب نتائج التجارب العلمية ، لتدعيم موقفه المؤمن ، إذا كان الارتباط بين هذه النتائج وبين الإيمان غير واضح ، كالذي نشاهده في يوم الناس هذا ، لدى بعض المتدينين الذين يؤثرون موقف التعالم والتكايس على الموقف العلمي الصحيح الخالص ، فتظهر في بحوثهم أو في مقالاتهم نغمة التوافق والانسجام بين العلم والدين ، بل قد يفسرون الدين في ضوء العلم ، دون أن يكون هناك أدنى ارتباط بينهما ، أو تفسير مقبول لموقفهم هذا .

ويمكن أن يقال هنا : إن المواقف المعلنة سلفاً من قضية الدين هي التي أملت على هذا وذاك أن يتخذ موقفه من القضية ، ومن ثم كان من الطبيعي أن ينتهي هذا الموقف إلى نتائج ترتبط بموقفه المسبق ، وهذا خروج عن الحياد كما ألمحنا .

ترى !!! أي موقف يمكن أن يوفي هذا الموضوع حقه ، دون أن يميل إلى أحد الحدين ؟ إنه الموقف الموضوعي المحايد ، لاسيما إذا كنا بصدد الوصول إلى الحق في قضية كالتي معنا - علاقة العلم واطراده بالإيمان - إذ هي من الأهمية بحيث تتضاءل أمامها قضايا أخرى ، أو قد تكون بالنسبة لها كنسبة الفرع إلى الأصل .

ولا يعترض على ما نقول بأن الجانب الذاتي في الدين - لدى الباحث المؤمن - قد لا يجعل له سبيلاً إلى اتخاذ هذا الموقف . ولكن استبعاد العواطف

والـرغبـات حين الحكم في مثـل هذه القضية يمكن أن يحدث ، لاسيما لدى أصحاب القوى المتوازنة ، والعزائم القوية . من ثم سنحاول في هذا البحث أن نقوم الموقف الرافض للدين والموقف المؤيد له في ضوء براهين كل منهما . بمنهج نحسبـه التـزم الموضوعية والحياد العلمي ، ولن ننسى - أيضاً - الكشف عن المنـطلقـات الأسـاسية لكـلا الموقفين وإدخالها في دائرة التقويم ، وسيظهر أن الكشوف العلمية التي تظهر تباعاً ، والتي تحكم عالم المادة وتفسر ظواهره دون أن تقـدم التعليلات العلمية لعـلاقة عناصر هذا العالم بعضها ببعض . ستفسح المجال أمام العقل ليلتمس علة أخرى وراء المنظور المادي لهذا الكون ، تلك التي ستكون محور الإيمان وجوهره .

وسنسير بحثنا هذا متبعين الخطوات الآتية :

١ - طبيعة العلم التجريبي ودائرة أحكامه .

٢ - القوانين العلمية من حيث مصدرها .

٣ - القائلون بالمصادفة في تفسير الظواهر الكونية ومناقشتهم .

٤ - القانون العلمي وعلاقته بالإيمان .

٥ - انفراج الأزمة التي اختلقها الملحدون بظهور البحوث العلمية المحايدة .

٦ - الإيمان والحضارة المادية .

١ - طبيعة العلم التجريبي ودائرة أحكامه :

وظيفـة العلم التجـريبي ، دراسة عالم الظواهر ، لاكتشاف القوانين التي تحكمهـا . والـوصول إلى هذه الغاية ، دونه ضرب من الملاحظات والتجارب والفروض الأولية التي تعرض التصورات المحتملة في تفسير الظاهرة . ثم التدقيق فيها لاستبعاد مالا يصح لأن يكون تفسيراً ، والانتهاء إلى ما يصح . وما كان لهذا العلم أن يتجاوز طبيعته هذه وإلا ظهر القصور والعجز في وظيفته . ومن ثم لا

يمكن لأي عاقل أن يتصور للعلم مهمة وراء ماذكرنا . وقد أوقفنا الواقع أمام قضية هامة هي ، أن العلم لا يكشف عن كل الحقائق الخفية وراء ظواهر المادة بالطريقة الارتجالية المتسرعة ، بل يمشي إلى غايته على مهل ، بقدر الجهد الذي يبذل ، ولو لم تكن المسألة على هذا الشكل لكنا أمام مجموعة غير محصورة من الكشوف العلمية ، التي تعبر عن ممارسات الباحثين ومزاولاتهم لمهامهم ، منذ تأهلوا لذلك . وقد يعز على الحقيقة العلمية أن تفصح عن نفسها إلا في أجيال متعاقبة ، كأنها تستنهض الهمم وتحفز الملكات والعقول ، على أن يظل الإنسان مستوفزاً ، سعياً وراءها طلباً لنتائج سعيه وكده . وقد أظهر لنا تاريخ العلوم أن الجديد الذي تظهره جهود الباحثين قد يكون ابتكاراً لنتيجة لم تكن معروفة من قبل ، وقد يكون تعديلاً لمسألة اكتشفها السابقون . وقد يكون نسخا لفكرة سبقت ، وهكذا ليتأكد أن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة - كما يقال - وليتبين لنا أن النظرية العلمية ليست إلا فرضاً لم يثبت عدم صحته بعد . بل إنها تفسير مؤقت للظاهرة وليست بأي حال من الأحوال هي التعليل الحقيقي لها . ولعل موقف العقل من قانون الاحتمالات والاعتراف بعدم حتمية الطبيعة في حدود الإمكانيات المتاحة للإنسان ، لا يزال له احترامه في كثير من الدوائر والأكاديميات العلمية .

ونتيجة لما تقدم ، يظهر لنا أن جانب المدرك (بكسر الراء) يلعب دوراً خطيراً في تفسير الظواهر ، لذا فإن أساطين العلوم يقررون أن النظريات التي يتوصل إليها الباحثون في تفسير بعض الظواهر ، ليست إلا صوراً ذهنية لتفسير القوانين الحقيقية التي تحكم ذلك العالم ، وقد يكون السبب في ذلك راجعاً إلى طبيعة الإنسان نفسه ، وقدرته المحدودة .

وقد يخلع الباحث على النظرية العلمية شيئاً من الأهمية إذا ما شعر بأهميتها في الواقع والحياة ، حتى ولو لم تكن هي التفسير الصحيح أو القريب من الصحيح للظاهرة موضوع البحث . وهنا يكون للمنفعة دورها المؤثر في البحث

العلمي ، ولعـل هذا هو مادعا البروفسور « سوليفان » إلى توجيه نقده لبعض النظريات العلمية بقوله : « إن النظريات التي نعتبرها اليوم حقيقة ، ليست إلا قياساً على وسائلنا المحدودة للملاحظة ، ولا تزال قضية « الحقيقة » في ميدان العلم ، قضية عملية نفعية » .

وكأني بهذا الباحث يقرر ضمنا أن العلم من حيث هو- بعيداً عن هوى الباحثين وبعيداً أيضاً عن الحقائق الكامنة خلف عجزه عن تعليل وتفسير كثير من الظواهر التي يحاول دراستها - ليس إلا منهجاً محايداً ، لا علاقة له بالدين نفياً أو إثباتاً ، ويترتب على هذا أننا إذا أردنا أن نكون محايدين في بحوثنا ، وأن يتسم منهجنا بالموضوعية ، فينبغي أن يستبعد من مجال البحث العلمي ، تلك الأحكام القبلية التي تترسخ في ذهن الباحث ، عن علاقة الدين بالعلم ، وأن النتائج التي يتوصل إليها لا تقبل ولا ترد ، إلا على هذا الأساس .

وتتضـح المسـألـة التي نحن بصددها أكثر ، إذا حاولنا ترتيب موضوعات العلوم ، بحسب مقـومـاتهـا النـوعية وتكـامل عناصرها ، إنا إذا حاولنا ذلك فسنحصل على هذا الترتيب التصاعدي ، بحيث نرى أن كل واحد منها يحتوي على ما قبله ويزيد ، وينقص عما بعده بقدر ما فيه من زيادة في مقوماته . فالحياة النباتية تستلزم وجود الجسم بأجزائه وجزئياته وعناصره وذراته وطاقاته ، وتزيد على وجـود الأجسام التي لا حياة فيها ، وظائف أخرى ، هي من صميم مقومات حياتها الخاصة (الحياة النباتية) .

والحياة الحيوانية تحتوي الحياة النباتية بكل وظائفها . وتزيد عليها وظائف أخرى هي من مقومات هذه الحياة . والحياة الإنسانية فيها كل مقومات الحياة الحيوانية وتـزيد مقـومـات جديدة هي من خصائص الإنسان وطبيعته . وهذه الـوظـائف نفسهـا طبقـات بعضهـا فوق بعض . أبـرزها وأعلاها ، الوظيفة الروحية ، التي تتطلع إلى الحقيقة الكبرى .

إن هذا البيان يحدد لنا طبيعة العلم التجريبي ودائرة أحكامه ، كما يبين لنا - في نفس الوقت - الصلة بين هذا العلم وبين الدين . وهذه الصلة ليست وحدة في الموضوع ، والاشتراك في الأهداف ، لأن المسائل التي تعالجها العلوم التجريبية لا يمكن أن تتساوق مع المسائل التي تجيء الأديان لمعالجتها ، فالعلوم تبحث في دائرة الموجود المادي من الكائنات ، وليس هناك علم من العلوم يبحث عن مبدئها الأول وغايتها القصوى[1] .

الحقائق المستنبطة :

غير أن العلوم التجريبية كلها يمكن أن تعطي للدين بعداً جديداً ، يكمن في صمتها عن التعليل الحقيقي لحدوث الظواهر ، وحينئذ تكون وظيفتها وسائلية بالنسبة للدين ، وهي بالإضافة إليه - تبعاً لذلك - تكون كالمقدمات للنتائج والوسائل للمقاصد ، فكما أن المجهول لا يتوصل إليه إلا عن طريق المعلوم ، والغائب لا يدرك إلا على ضرب من القياس على الشاهد ، فكذلك الحقائق العليا ، لا يسهل الصعود إليها إلا على سلم من الحقائق الدنيا[2] . وهذه الحقائق هي موضوع العلوم التجريبية . وما يأخذه الباحث من حقائق عن هذا السبيل ، إنما يكون استنباطاً من ملاحظاته وتجاربه ، فالطبيعة الماثلة أمامنا ، إنما تنعكس صورها على أعين الناظرين ، ولا تعطي - من حيث عملية نقل الصور بلا انفعال - سوى انعكاس الواقع على العين ، ولكن إذا تجاوزنا هذه العملية إلى ما وراءها ، لاستنبطنا أن دقة النظام المحكم في الطبيعة ينم عن وجود خطة وتدبير سابقين . وهذا بدوره يهدينا إلى استنباط وجود منظم لها .

وإذن فما وراء معطيات العلم من حقائق إنما كان نتيجة طبيعية لحدود إمكانياته ودائرة أحكامه ، ولا يستطيع باحث حقيقي أن ينكر ما وراء العالم المادي من حقائق ، مهما تذرع بالحجج التي يحسبها تؤيد وجهة نظره ، لأن علاقات الإنسان من حيث كونه كائناً راقياً ، أوسع من أن تحد بهذا العالم

المنظور . كما أن وجهة النظر التي تعبر عن هذا الموقف - حينئذ - لا يمكن أن ترقي إلى مستوى الحكم العام . وإذا كانت كذلك ، فإنها لا تملك سلطة الإلزام العام . وهذا غاية مقتضى طبيعتها .

٢ - القوانين العلمية من حيث مصدرها :

إن القول بآلية حركة الكون ، بمعنى خضوعه لقانون داخلي ذاتي في عملياته المتطورة المتغيرة ، واستبعاد أن يكون محكوماً بقوة خارجة عنه ، هذا القول ليس وليد البحوث العلمية الجادة ، كما أنه من ناحية أخرى ليس من مخترعات الباحثين الماديين في العصر الحديث من أمثال : « أرنست هيكل » و « جوليان هكسلي » وغيرهما من رواد هذا الاتجاه ، بل يمكن تلمس هذا القول في ظل الحضارات المتعاقبة ، لأنه يشكل لدى بعض الباحثين في تلك الحضارات وجهة نظرهم إلى الإنسان والكون والحياة والإله ، وقد ظهرت هذه الفكرة بوضوح لدى ممثلي « المدرسة الذرية » في بلاد اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد .

وقوام نظرية الماديين عموماً ، أن كل ما يحدث في العالم من كون أو فساد ، إنما يخضع لقانون المشاكلة ، الذي تحتوي عليه المادة احتواء ذاتياً ، والوجود والعدم إنما يأخذان هذا الوصف بضرب من المجاز ، لأن المادة والخلاء هما أساس الكون ، كما أنهما بالضرورة أزليان ، ومرجع الحكم على الأشياء بالوجود أو بالعدم ، إنما يكون إلى الذات العارفة « الحواس » وإذن فنحن نجزم بوجود الشيء ، حينما يصير في حالة نستطيع معها أن نحسه بإحدى حواسنا ، ونحكم بإعدامه حينما لا يكون كذلك ، وليست الحالة الأولى وجوداً حقيقياً ، ولا الثانية انعداماً حقيقياً كما هو الظاهر ، وإنما الأولى اجتماع للذرات عندما تشاكلت ، والثانية افتراق لها عندما تخالفت ، لأن الموجود لا ينعدم والمعدوم لا يوجد . فالوجود لا ينتج عدماً ، كما أن العدم لا ينتج وجوداً .

هذه - بتركيز شديد - عملية ما يسمى بالوجود والعدم الظاهريين . كما تفسرها المدرسة المادية الذرية لدى اليونان . وليس بين هذا الاتجاه القديم والاتجاهات التي جاءت فيما تعاقب من حضارات - في الوسيط والحديث والمعاصر التي تدعى نفس الدعوى - كبير فرق في تفسير الظواهر الكونية ، وإذن فمحاكاة الأقدمين يشكل السمة الغالبة لتلك المدارس لدى الخالفين ، وكأنهم توقفوا بعقولهم عند هذا التصور الذي ظنوه تفسيراً صحيحاً للظواهر ، ولم ينفذوا إلى صميم العلاقات الحقيقية لتلك الظواهر ، كما فعل أقرانهم من العلماء الأثبات ، الذي لم يرضوا لأنفسهم حرفة التقليد ، بل آثاروا المنهج العلمي المحايد ، الذي يحاول اختبار المسألة للوصول إلى الحق فيها ، بعيداً عن أية أفكار مسبقة ، فجاءت بحوثهم حافلة بالحقائق التي تؤكد خضوع الظواهر الكونية لقانون السببية . وهذا ما سنبينه بعد قليل .

وفي تأكيد فكرة تقليد المحدثين من أصحاب هذا المنزع المادي لأسلافهم من القدماء يقول الباحثان « جانيه » و « سياي » : « إن الفكرة الإغريقية عن المادة قد وصلت في عهد « ديمقريطس » إلى إدراك جلى واضح ، إذ هو الذي وضع كل المباديء العظمى التي تسود علم الطبيعة في العصور الحديثة ، سيادة آخذة في النمو . ومن تلك المباديء التي وضعها : مبدأ عدم قابلية المادة للفناء ومبدأ بقاء الطاقة ، وهما المبدآن اللذان يعبر عنهما في البيئات العلمية بهذه العبارة : « لم ينشأ شيء من لا شيء ولن ينتهي شيء إلى لا شيء » . ومنها أيضاً : إرجاع جميع الظواهر الكونية إلى مصدر واحد هو « الحركة » ومنها : القول بانفراد القانون الميكانيكي بالسيادة على العالم الطبيعي[٣] .

لقد كشفت البحوث العلمية الجادة أن المبدأين - عدم قابلية المادة للفناء وبقاء الطاقة - ليست لهما قيمة علمية صحيحة . وقد ساق الرافضون لهما فكرتهم على مستويين : أحدهما عقلي والثاني علمي تجريبي .

فأصحاب المستوى الأول يرون أن الكون من حيث هو ، موصوف بالإمكان الذاتي ، وهذا الوصف الذي لحقه ، إنما جاءه من طبيعته المتغيرة المتحولة المتقلبة ، ويستحيل - حينئذ - أن يكون واجباً ؛ لأن التحول والتغير دليل الإمكان . وكونه كذلك يعنى أنه « منفعل » أي قابل لطروء التغيرات عليه ، وهذا يعني أيضاً أن المؤثر فيه ينبغي أن تكون قوة خارجة عن ذاته وإلا لاجتمع فيه كونه منفعلاً وفاعلاً في آن واحد وهذا مستحيل عقلاً .

ومما لاشك فيه أن هذا الإلزام لا يستطاع الفكاك منه ، إنه يؤكد وجود « فاعل » حقيقي للأحداث الكونية خارج نطاق مادة الكون نفسه ، وهذا مدخل حقيقي للاعتراف بوجود « الخالق » الذي يتصرف في هذا الكون بالإيجاد والإعدام ويسير حركته وفق قوانين من صنعه هو ، هي بلغة القرآن الكريم سننه التي لا تتحول ولا تتبدل[٤] .

ولموقف حجة الإسلام أبي حامد الغزالي من مسألة السببية ارتباط وثيق بما نحن بصدده . إذ يرى أن الاطراد في الارتباط بين ما يرى في الظاهر على أنه سبب وما يرى على أنه مسبب ، ليس راجعاً إلى الضرورة العقلية التي لا تتخلف ، والتي قد يشهد معها العقل بأن أحداث الكون إنما تسير على خط آلي . وإنما يرجع هذا الاطراد إلى ما يمكن أن يسمى « بجريان العادة » يقول في ذلك : « الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا ، بل كل شيئين ، ليس هذا ذاك ولاذاك هذا . ولا إثبات أحدهما متضمناً لإثبات الآخر ، ولا نفيه متضمناً لنفيه ، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر »[٥] .

ولم يقف أبو حامد عند مجرد تقرير وجهة النظر هذه دون أن يقدم لنا دليلاً مقبولاً ، يتأكد معه أن تأثير عناصر الكون بعضها في بعض ليس ذاتياً لها ، بل إلى الفاعل الحقيقي ، وهو « الله » لقد وقع نظره على الدليل الصحيح عندما

حدد طبيعة وأوصاف الفاعل الذي ينبغي أن يعطي هذا الوصف ، إن من أخص خصائص هذا الفاعل هو « الإرادة » و « القدرة » . الأولى للتخصيص والأخرى للتأثير ، ومما لاشك فيه أن الفاعل الذي يتمتع بهذين الوصفين لا تتجه قدرته للتأثير في الظواهر إلا حين تتجه الإرادة لذلك ، فالقدرة تكون صالحة للفعل وعدمه ، والإرادة هي التي تحملها على ذلك . ومن حق الفاعل الحقيقي أن يفعل في أي وقت يشاء ، كما أن من حقه عدم الفعل تبعاً لإرادته ، حتى وهو قادر عليه ، بناء على ذلك : إذا نظرنا إلى ظاهرة إحراق النار للأجسام الجافة فهل يمكن أن نطلق على هذا الحدث أنه فعل حقيقي ، تأخذ النار فيه صفة « الفاعل » وما تحرقه صفة « المنفعل » الذاتي ؟ كلا لأن النار لا تملك لنفسها صفة « الإرادة » للفعل أو عدمه ، وإذن فليست هي الفاعل الحقيقي ، وإنما هي سبب قريب أودع الله فيه قوة الإحراق ، كما أودع في المحترق قوة الاحتراق ، وليس لمن يدعى أنها المؤثر الحقيقي في الظاهرة من دليل سوى مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار . وفرق واضح بين حدوث الظاهرة عندها والحصول بها[٦] .

وأما المستوى الثاني ، الذي هو وليد البحث التجريبي ، فقد قرر أصحابه أن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا العالم تفقد حرارتها تدريجياً ، وأنها تتجه نحو نقطة تصير فيها الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض ، هي « الصفر المطلق » وعندئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة . أما الأرض الغنية بأنواع الحياة والشمس المستعرة والنجوم المتوهجة . فكلها دليل على أن أصل الكون والقانون الذي يحكم حركته وصيرورته وكونه وفساده ، إنما يرجع إلى مؤثر أزلي ليس لد بداية ، محيط بكل شيء قادر ليس لقدرته حدود ، لابد أن يكون هذا الكون من صنع يديه[٧] .

٣ - وجهة نظر القائلين بالمصادفة في الظواهر الكونية :

لا يمكن أن يكون هناك ما هو أشد غرابة ممن يقولون بالصدفة في تفسير الكـون ، لأن قولهم هذا لا يمكن أن يقارن بما يقوله المحمومون ومن يعتريهم الخبل العقلي ، والاضطراب النفسي ، فضلاً عن أن يكون مما يصدق بأوليات العقـل ، أو محصلة التجـربـة الدقيقة . إن أبعد الأمور عن التصديق وأعمها استحالة . هو أن نؤمن بأن الكون وقطعيته الرياضية إنما جاء بطريق الصدفة ، ولعل مما يزيد استغراب الباحث ، أن يصدر هذا القول ممن يشهد لهم بالتفوق في العلوم الـرياضية ، مما يتأكد معه أن الأمزجة المتطرفة تلعب دوراً خطيراً ، عندما يمس البحث مسائل تتصل بالعقيدة .

وأكثـر من ينـطبق عليه كلامنـا هذا ، هو الفيلسـوف الـرياضي المعاصر « برتراندرسل » فقد أقر وجهة نظر الماديين عموماً حين قال : إن الإنسان وليد عوامل ليست بذات أهداف وأن بدأه ونشوءه وأمانيه ومخاوفه ، كلها جاءت نتيجة ترتيب رياضي إتفاقي في نظام الذرة ، وأن القبر ينهى حياته ، ولا تستطيع أية قوة إحياءه مرة ثانية .

ومما لاشك فيه أن أصحاب هذا الاتجاه ، لم يقتنعوا بالنتائج التي توصل إليها معارضوهم ، لأن عقولهم قد أوصدت دون الحقائق العلمية الصحيحة ، التي جاءت ثمرة للعقلية المتحررة ، والتي لم تسيطر عليها خرافات وأباطيل أصحاب هذا الاتجـاه . إن وجـود الآثار في غيبة المؤثر مما يرفضه العقل والتجربة معاً . وحـاجة الآثار إلى عللها وأسبابها مما يدرك بأوليات العقل . ويظهر في موقفهم التناقض الواضح والاضطراب الشديد ، إذ يعترفون في مبدئهم الذي أقاموا عليه إنكارهم لما وراء عالم المادة بأنه « لا يوجد شيء من لا شيء » وهذا القول شطر من فكـرتهم العامة ، التي أقاموا عليها موقفهم ، فكيف يستساغ - حينئذ - القول بأن الكون في وجوده وصيروته ، خاضع للصدفة ؟ . إن الواقع - وهو أقوى الأدلة - يشهد برد هذا القول ، لأن الطبيعة التي وجدت وتسير حسب

تفسيرهم المصادفي ، هي نفسها في حاجة إلى تفسير ، وإذن فكيف يكون من في حاجة إلى تفسير هو نفسه المؤثر .

إن العلم لا يملك سوى تفسير الظواهر ، ووصفها ، بما تؤدي إليه نتائج التجارب ، وأما تعليلها بمعنى : لماذا تحدث الظواهر ، فدون ذلك استحالة واضحة . وقد أقر بذلك أحد الباحثين الأثبات في علم البيولوجيا « سيسيل بايس هامان » فيقول : « كانت العملية المدهشة في صيروة الغذاء جزءاً من البدن ، تنسب إلى الاله ، فأصبحت اليوم بالمشاهدة الجديدة تفاعلاً كيميائياً ، فهل أبطل هذا وجود الإله ؟ إن صح هذا فما هي القوة التي أخضعت العناصر الكيميائية لتصبح تفاعلاً مفيداً ؟ إن الغذاء بعد دخوله جسم الإنسان يمر براحل كثيرة خلال نظام دقيق . ومن المستحيل أن يتحقق وجود هذا النظام المدهش باتفاق محض ، فقد صار حتماً علينا أن نؤمن بعد هذه المشاهدات ، بأن الله يعمل بقوانينه العظمى التي خلق بها الحياة[٨] .

ويزيد هذا الباحث المسألة توضيحاً فيقول : « لو أنك سألت طبيباً عن السبب وراء احمرار الدم لكان الجواب ، لأن في الدم خلايا حمراء حجم كل خلية كنسبة ١ - ٧٠٠ من البوصة ، ولوسألته لماذا تكون هذه الخلايا حمراء ؟ لكان الجواب : في هذه الخلايا مادة تسمى « الهميوجلوبين » وهي مادة تحدث لها الحمرة حين تختلط بالأوكسجين في القلب ، فإذا سألته . ولكن من أين هذه الخلايا التي تحمل « الهميوجلوبين » ؟ لأجابك : إنها تصنع في الكبد ، فإذا سألته : وكيف ترتبط هذه الأشياء الكثيرة من الدم والخلايا والكبد وغيرها بعضها ببعض ارتباطاً كلياً ، وتسير نحو أداء واجبها المطلوب بهذه الدقة الفائقة لأجابك : هذا ما نسميه بقانون الطبيعة الذي ينظم الحركات الداخلية للقوى الطبيعية والكيميائية ، فإذا سألته : ولماذا تهدف هذه القوى دائماً إلى نتيجة معلومة وكيف تنظم نشاطها حتى تطير بعض الحيوانات في الهواء ، ويعيش

بعضها في الماء ، ويعيش الإنسان على ظهر الأرض ، بجميع مالديه من الإمكانيات والكفاءات العجيبة المثيرة ، لكان الجواب : لا تسلني عن هذا ، فإن علمى لا يتكلم إلا عن « ما يحدث » ، وليس له أن يجيب عن « لماذا يحدث »[٩] .

إن ما كشف ويكشف عنه البحث العلمي في تطوره وارتقائه من نظم وقوانين تتخلل عناصر الطبيعة ، يؤكد دحض فكرة المصادفة في تفسير الظواهر ، حتى إن كثيراً من الباحثين يرون أن القول بها فيه مناقضة صريحة للكشوف العلمية ، ويؤيدون قولهم هذا بقانون العناصر الدورية ، ويرون أنه ليس من الممكن أن يطلق العلماء على هذا النظام الرائع في الطبيعة عبارة « الصدفة الدورية » وليس من الممكن أيضاً إنكار ما تتطلبه الضوابط والنظم في الطبيعة من وجود إله مدبر ، ذلك لأن عدم إيمان العلم بهذا الإله ، إنما هو في الواقع إنكار لكشوفه كنتيجة حتمية .

إن فكرة « المصادفة » تفسر بأن حظها من الاعتبار يزداد وينقص بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانيات المتزاحمة ، فكلما قل عدد الأشياء ازداد حظ المصادفة من النجاح ، وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة[١٠] . وبناء عليه فإن فرصة خروج عشر قصاصات من الورق ، كتبت عليها الأعداد من واحد إلى عشرة من حافظة مغلقة بنفس الترتيب ، إنما تجيء بنسبة واحد إلى عشرة بلايين من المحاولات . وإذا كان الممكن المتزاحم هنا محصوراً في العدد « عشرة » فما بالنا إذا اتسعت الممكنات المتزاحمة ؟

لقد انتهت بحوث العالم الرياضي « تشارلزيوجين » إلى أن إمكان حدوث الجزء البروتيني عن « الصدفة » يتطلب مادة يزيد مقدارها عن المادة الموجودة الآن في الكون بليون مرة . وأما المدة التي يمكن فيها ظهور نتائج ناجحة فهي أكثر من مائتين وثلاثة وأربعين صفراً توضع أمام الرقم « عشرة » من السنين . ولعل هذا الأمر المعقد هو الذي حمل العالم الأمريكي « كريسي موريسون » على القول

بأن الهدف من إثارة مسألة « الصدفة » ليس إلا أن نوضح كيف تتعقد الوقائع بنسبة كبيرة جداً في مقابل « الصدفة » وأن للحياة فوق كوكبنا شروطاً جوهرية عديدة ، بحيث يصبح من المحال حسابياً أن تتوافر كلها بالروابط الواجبة بمجرد المصادفة ، لأن أهم ما تنطوي عليه هذه الفكرة ، هي فقدان التوجيه والتسديد نحو هدف محدد وهذا ما يرفضه نظام الكون »[11] .

٤ - القوانين العلمية المحايدة وعلاقتها باالايمان :

العلم إدراك مباشر أو غير مباشر لموضوعه ، وغايته الكشف عن الروابط التي تحكم الظواهر الكونية ، التي تسمى « القوانين العلمية » ومتى وصل إلى هذه الغاية يكون قد أدى رسالته المنوطة به ، ولكن يبقى وراء ذلك مسألة يدهش منها الباحث ، ملحداً كان أم مؤمناً ، وهي : التعليل الحقيقي لإحداث الظواهر ، وأولهما يفسر دهشته بما يتفق وهوى نفسه ، وثانيهما يرجعها إلى ما استقر في طبيعة الإنسان المعتدل السوى ، ذلك لأن الإنسان من حيث هو، قد زود بشعور داخلي قوي ، بأن وراء الوجود المادي ، وجودا أسمي وأقوى هو الموجود على الحقيقة ، وإذا كان في أحقاب التاريخ السخيفة قد تلمسه في بعض الظواهر الكونية ، التي أطمأن إلى أنها تمده بما يساعده على الحياة وطرائق العيش . وإذا كان هذا التصور خاطئاً لدى أصحاب الأديان السماوية الصحيحة ، فإن هذا الخطأ لا يتجاوز الإيمان إلى ما يقابله وهو الكفر . فهو إيمان قد أخطأ موضوعه الصحيح . من ثم جاءت الأديان السماوية كلها لتصحيح تصور البشر عن الإله ، ولم تنشيء لديهم إيماناً لم يكن موجوداً في أصل فطرتهم .

إن كثيراً من علماء اللاهوت والنفس يتحدثون عن أصل الغريزة الدينية التي يولد الإنسان وهو مزود بها . ويقرون بأنه في حاجة ضرورية إلى مبدأ ديني أو أخلاقي ليضبط سلوكه ، حتى لا تكون حياته مسرحاً للصراع المحتدم ، والفوضي التعسة ، فعلماء اللاهوت يتكلمون عن « غريزة الدين » ويؤيدونها بفكرة

« الميثاق » التي جاءت بها الكتب المقدسة ، وهي أظهر ماتكون في القرآن الكريم وفيها يقول : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا . . . »[١٢] . وتفسر هذه الآية بأن الإنسان كان في مرتبة وجودية سابقة ذات طبيعة مخالفة لطبيعته التي عليها وجوده الآن يسمونها « عالم الذر » وأن الله سبحانه أشهده على نفسه بأنه ربه وخالقه فشهد بذلك .

وجمهور علماء النفس يقرون هذه الغريزة ، وإن اختلفوا في تفسيرها ، ولعل أظهر تفسير لها ما قال به « شيلرماخر » من أن أصل الدين من الوجهة النفسية يرجع إلى الإدراك الفطري في الإنسان الخاص بالسببية والشعور بالتبعية والحدس باللانهائي[١٣] .

وإذا كان هذا هو موقف كبار المفكرين في ميداني اللاهوت والنفس ، وهم الأولى بأن تحترم آراؤهم في هذه القضية التي معنا ، على اعتبار أنهم في دراستهم يتعاملون مع الإنسان من حيث كيانه الداخلي ، لا من حيث مظهره الخارجي ، فإن المواجهة - حينئذ - بين هؤلاء وبين الماديين الذين يتشبثون بفكرة الإلحاد تكون غير متكافئة من حيث مستوى الفهم الحقيقي للموضوع .

إن النتيجة الطبيعية لوقوف العلم المادي عند تفسير الظواهر دون تعليلها ، يؤدي إلى إفساح المجال أمام العقل لتلمس علة مقبولة ، خارجة عن دائرة الطبيعة ، موضوع البحث . وإدراك هذه العلة ، إنما يكون بوسائل غير التي تدرك بها المسائل المادية في دراسة العلوم الكونية ، لأن المجالين مختلفان ، فالبحث في كيان الإنسان الداخلي لا يخضع لما تخضع له عناصر الطبيعة .

وإذا كان الأمر كذلك ، فأي قصور يمكن أن يوصف به موقف الماديين ، الذي يزيدون فكرتهم إيغالاً ونكراً حين يدعون أن صدور الظواهر عن قوانينها ، يلغى نسبتها إلى أسباب فوق الطبيعة نفسها ؟ ألم يسمعوا للوجه الآخر الذي يقرر

أن القوانين العلمية لا تؤثر في إحداث الظواهر بل هي نتيجة لها ، وكون النتيجة هي السبب ، فيه قلب للحقائق ، وهذا مرفوض بأوليات العقل ؟

يبدو - حينئذ - أن القصور ظاهر في إدراكهم لحقيقة التفسير الصحيح والمناسب للظواهر الطبيعية ، يضاف إلى ذلك أنهم جد متعصبين لموقفهم هذا ، حتى لكأن « التعصب » هو القاعدة التي يتعاملون بها مع من سواهم ، حيث لا يكترثون بما يقوله غيرهم ، وهذا أكبر داء يصيب البحث العلمي .

اختبار بعض القوانين :

العناصر الرئيسية البيولوجية لحياة الكائن الحي هي : الأوكسجين - الهيدروجين - الكربون - ثاني أكسيد الكربون . وهذه العناصر الضرورة للحياة ، توجد في محيط الكرة الأرضية بنسب منضبطة . ويقرر كثير من الباحثين أن العلم ليس لديه إيضاح لهذه الحقيقة . وقد انتهوا إلى قضية هامة تجري مجرى الحقائق وهي : أن هذا التوازن النسبي بين العناصر ، لو لم يكن على هذه الحالة التي هو عليها الآن ، لما كانت هناك حياة ، بكل صورها ، الإنسانية والحيوانية والنباتية ، فلو أن نسبة « الأوكسجين » الموجودة في الغلاف الجوي بنسبة ٢١٪ زادت على ذلك ، لأدى الأمر إلى أن تصبح جميع المواد القابلة للاحتراق عرضة للاشتعال ، ولو بأقل شرارة . وفي المقابل لو أن تلك النسبة نقصت عن معدلها الثابت ، فإن الحياة تصبح مستحيلة ، على هذه الصورة من الرقي والمدنية . وإذن ففي اختلال نسبة عنصر واحد بالقياس إلى العناصر الأخرى اللازمة للحياة إطاحة بالحياة كلها . وحسبنا أن نشير هنا إلى أن تلك العلاقة العجيبة البادية بين الأوكسجين وثاني أوكسيد الكربون . فيما يتعلق بالحياة الحيوانية والنباتية ، قد استرعت أنظار كثير من الباحثين الغربيين حتى وقفوا أمامها بإعجاب غامر[١٤] .

وموضع الإعجاب والدهشة لدى هؤلاء الباحثين يكمن فيما أدركوه من وجود علاقة تبادلية بين الحياتين : الحيوانية والنباتية ، فعنصر « الأوكسجين » هو قوام

الحياة الحيوانية (الإنسان والحيوان) وعنصر ثاني أوكسيد الكربون هو من مخلفات هذه الحياة ، وهو في نفس الوقت قوام الحياة النباتية كما أن الأوكسجين من مخلفاتها الذي هو قوام الحياة الأولى كما ذكر . ولو كانت المقايضة غير قائمة ، لاستنفدت كل من الحياتين عنصرها وهنا تكون المشكلة[١٥] .

إن أصحاب المنهج الحيادي المجرد وقد أدهشهم هذا النظام . الذي لم يستطيعوا تعليله من الناحية العلمية ، لم يجدوا أمامهم إلا تعليله بالروح الكونية المتعالية ، التي تدبر أمر هذا الوجود ، حتى قال بعضهم : من الممكن أن نسأل أي إنسان ، مؤمناً كان أو ملحداً أن يثبت لنا كيف يكون هذا التوازن في صالحه ، إذا كان الكون قد وجد بمحض المصادفة[١٦] .

وبجانب قانون التناسب بين العناصر ، توجد قوانين أخرى ، لعل أظهرها بالنسبة للحياة ، ما يمكن أن يسمى بقانون « التوازن بين الكواكب » من حيث أبعادها وأحجامها النسبية . لقد قرر علماء الفلك ، أن الأرض - ونؤثرها بالذكر لأنها هي التي تظهر عليها حياتنا - لو كانت أقل أو أكثر مما هي عليه الآن . لاستحالت الحياة فوقها ، فلو كانت أقل لقلت - تبعاً لذلك - جاذبيتها ، وتصبح والحالة هذه غير قادرة على إمساك الماء والهواء اللازمين للحياة ، فضلاً عن برودتها الفائقة ليلاً وحرارتها الفائقة نهاراً . ولو كان حجمها أكبر مما هي عليه الآن لزادت جاذبيتها ، وينكمش غلافها الجوي تبعاً لذلك ، ويزداد الضغط الجوي أيضاً ، وهذا لا يهيىء الحياة للكائن الحي . وهكذا نرى أنه على أي فرض من الفرضين تنعدم الحياة . ولا يملك الأثبات من الباحثين في علوم الفلك إلا الدهشة من هذا النظام العجيب ، حتى أطلق بعضهم على هذه العملية اسم « عجلة التوازن العظيمة »[١٧] .

لقد كشف « نيوتن » عن قانون الجاذبية ، غير أنه لم يستطع الوصول إلى تعليل لهذا القانون ، من ثم وقف عند حدود هذا الكشف فقط ، وما كان له

ولمثله أن يتقدم خطوة إلى الأمام ليعلل لهذه الظاهرة بما هو فوق الطبيعة وفوق قوانينها ، بعد أن ظلوا محصورين في إطار العالم المادي . أما أصحاب العقول المتحررة من العلماء فلم يعجزوا عن تعليل مثل هذه الظاهرة وغيرها ، حين أقروا بوجود الروح الكونية المتعالية ، التي تسري في هذا الوجود كله ، والتي تعطيه معنى وهدفاً . لقد علق « هوايت هيد » على قانون الجاذبية بقوله « لقد كشف نيوتن عن حقيقة فلسفية عظيمة ، هي أن الطبيعة بغير روح لن تفسر نفسها ، كما أن الشخص الميت لا يستطيع أن يحكي لنا واقعاً . إن جميع التفسيرات الطبيعية والمنطقية لم تزد أخيراً عن أن تكون إظهاراً لهدف ، ولا يمكن أن توجد هذه الروح المدهشة ، إلا في ظل سلطان وجود ذي إدراك ، هو علة هذا الكون »[١٨] .

وما ذكرناه ليس إلا مثالاً يدل على غيره من القوانين الأخرى ، ولوشئنا اختبار أي قانون علمي على ضوئه ، فلن يملك الافصاح بلسان المقال عن التعليل الحقيقي لوجود الظواهر ، لأنه لا يتجاوز دور الرابطة التي تحكمها ، ولكنه في الوقت ذاته ينطوي على معنى أعمق من القول ، يدركه الباحث المحايد ، انطلاقاً من نفسه هو ، باعتباره كائناً يصعب تفسيره وتحليله من جميع جوانبه ، في ضوء معطيات العلم القاصر . ولقد صدق إلى حد بعيد قول « أوسبورن » : « بين جميع الأشياء التي لا يمكن إدراكها في الإنسان . تتركز الصعوبة الكبرى ، فيما له من مخ وذكاء وذاكرة وآمال وقوة كشف وبحث ، وقدرة على تذليل العقبات »[١٩] .

ولا يشك عاقل في أن العلم في تقدمه واطراره وكشفه عن الجديد من القوانين التي تحكم عالم الأشياء والإنسان ، يصادف كثيراً من المشاكل التي تتأبى على الحل ، وتتمنع على العقل البشري ، بحكم طبيعته من ناحية ، وطبيعة الوجود من ناحية أخرى . مما يؤكد أن الإنسان إذا قصر معارفه على ما وصل إليه عقله وأنكر ما وراء ذلك ، فإن في هذا الحالة استنامة للعقل والوجدان والروح

الإنسانية . وأما إذا اعتقد فيما وراء حدود العقل ، فإن في هذا ترقياً لعقله وروحه ووجدانه معاً ، ويتبين لنا من هذا كيف يكون العلم سنداً للإيمان وتدعيماً له .

٥ - انفراج الأزمة التي اختلقها الملحدون بعد ظهور البحوث الجادة المحايدة :

في الاقتراب من الروح العلمية الحقيقية ما يدعو إلى التفاؤل بالنسبة للإيمان ، ذلك لأن العلم كلما أخذ طريقه نحو غايته ، تكشفت له السنن الكونية بقدر الجهد الذي يبذل في هذا السبيل . ويتأكد في ثنايا هذا الجهد ، أن قوانين الظواهر ، أو بلغة المؤمنين ، السنن الكونية ليست ذاتية للمادة . ويؤكد ذلك أيضاً ، الازمة التي اكتشفها العلم حول مبدأ « الحتمية » ، إذ لو كانت القوانين ذاتية للمادة لما أمكن تخلفها ، لأن ما بالذات لا يتخلف كما يقال ، ولا نستطيع تفسير هذه الأزمة بفكرة « المصادفة » بعد أن بينا أن الحياة في ضوء هذه الفكرة تفقد قيمتها وأهدافها .

ولقد انفرجت الأزمة التي أحدثتها بعض البحوث التي وقفت بأصحابها عند تخوم عالم الظواهر في القرن الماضي ، الذي كانت السمة الغالبة عليه ، هي فكرة الالحاد ، بعد أن ظهرت إلى الوجود بحوث جادة في هذا العصر ، شكلت فتحاً للتعانق بين الإيمان والعلم ، وعفت على آثار النزعة الالحادية ذات البحوث العلمية الفجة في القرن الماضي ، حتى أصبحت هذه الحالة موضع الإجلال والتقدير من باحث معاصر « كريسي موريسون » حتى هتف من أعماقه : « يجب أن تأخذنا الدهشة والاجلال لاتفاق البشر في نواحي العالم على البحث عن الخالق ، والإيمان بوجوده ، أو ليست روح الإنسان . هي التي تشعر باتصالها بالله ؟ أم نخشى أن نقول بأن الحافز الديني الذي لا يملكه إلا الإنسان ، هو جزء من الكائن الواعي ، كأية صفة أخرى من خصائصه »[٢٠] .

وكأني بهذا الباحث يقرر في اطمئنان ووثوق ، أن في التقاء نتائج البحوث العلمية الجادة . مع مطالب النظرة الإنسانية ومطامحها ، ما يبرر تدعيم العلم للإيمان ، وكون العلم بهذه المثابة ، يعنى أنه يشكل سلم العروج نحو الإيمان الواعي . وهو في نفس الوقت يتجاوز ذلك الذي قام على التقليد والمحاكاة ، والـذي يمكن أن يكـون شقشقات باللسان ، وليس تعبيراً عن انفعال القلب بموضوع الإيمان . إن البون شاسع بين أولئك الذين تتردد على ألسنتهم كلمات الإيمان ، أو أولئـك الذين وقفت بهم بحوثهم عند منتصف الطريق فعصفت بمطالب القلب وأشواق الروح وبين هؤلاء الذين انتهت بهم بحوثهم إلى هذا الأفق العالي من النضوج العلمي والروحي معاً .

أجل !!! هل هناك ما هو أجدى على الإيمان من وقوف الباحث على أقصى درجات الطاقة البشرية ليكتشف بنفسه عجز العقل الإنساني الطلعة عن تعليل كثير من الظواهر التي تسود الكون . ويقر - تبعاً لذلك - بالقوة المطلقة والعقل الحكيم ؟

إن البحوث العلمية التي وقفت بأصحابها أمام هذه النتائج الباهرة ، قد تنوعت حتى شملت كل أنواع المعارف العلمية التجريبية ، من طبيعية ورياضية وبيولوجية وفلكية إلخ وربما كان موقف العالم الرياضي من بين تلك المواقف ، أرجي في هذا المقام ، ذلك لأن الكون من خلال هذا العلم والبحوث المتقدمة فيه . يتراءى للناظرين في إطار من النسب الرياضية ، مما يتأكد معه صحة المقولة التي نطق بها الأقـدمون « إن الله يهندس » وإن الهندسة تترجم لنا حكمة الله سبحانه وتعالى في مخلوقاته العلوية والسفلية على السواء .

ولنا أن نستنطق أحد أساطين هذا العلم حتى يكشف لنا عن « المهندس الأعـظم » على حد تعبـيره ، من خلال بحـوثـه الـرياضية ، يقـول « آرثـر أدنجتون » : « إن تفسير الكون بالحركة الآلية لا يسيغه العلم الحديث ، وإنه أحرى أن يفسر بالنسب الرياضية في عقل عاقل ، ولكن الإنسان هو سر الكون

الأكبر ، وهو الذي يدرك هذه النسب ، ويدرك ما بين عقله وعقل الكون من علاقة وثيقة . . . إنه إذا جاز للحركة الآلية أن تخلق في المستقبل إنساناً آلياً ، فليس مما يجوز في العقل أن نتخيل هذا الإنسان سائلاً عن الحقيقة أو مبالياً بأسباب الحق والباطل . ولكن هذا الشوق إلى الحقيقة . هو لب لباب الحياة وهو محور الوجود الإنساني منذ نجم من صلب هذه الطبيعة »[٢١] .

أي جدوى تعود على الإنسان - من وجهة نظر الماديين - إذا انتظم ضمن هذا الكون الذي تحكمه قوانينه الميكانيكية كما يقولون ؟ وأي فرق يمكن أن يكون بينه ككائن له خصائص وملكات تؤهله لرتبة وجودية خاصة تليق به ، وبين الظواهر الطبيعية الأخرى ؟

وليس « أدنجتون » إلا واحداً ممن التزموا جادة الحق في مباحثهم الرياضية ، فأدى التزامهم هذا إلى تلك النتائج الروحية العميقة ، ولا تزال أمثال هذه المباحث تترى في بلاد الغرب على أيدي كثير من المحققين في عصرنا هذا ، ولعل أظهرهم العالمان الكبيران « كريسي موريسون » و « الكسيس كاريل » ، فقد جاءت كتابات الأول في مؤلفه العظيم « الإنسان لا يقوم وحده » - الذي ترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان « العلم يدعو للإيمان » شاهد صدق على تدعيم الإيمان بمكتشفات العلم . لقد ساق الباحث هنا سبعة أسباب للإيمان بالحقيقة الكبرى « الله » يعرفها الطبيعيون والرياضيون ، ولا تستطيع العقول الصريحة أن تردها إلى المصادفة ، لأنها لا تختل أبداً ، مما يدل على الترابط المستمر بين الظواهر وأسبابها في الحالات العادية .

إن « الجينات » التي يتولد وتولد منها البشر حتى اليوم وإلى أن تقوم الساعة ، لو أمكن وضعها في حيز ، فلن يتجاوز هذا الحيز حجم « قمع الخياطة » ، ومع ذلك فإنها تحتوي على جميع الخصائص الآدمية لآلاف المليارات من الناس ، وكيف يفسر العلم - فضلاً عن المصادفة والعشوائية - انطواء هذه « الجينات »

على جميع عوامل الوراثة ، المأخوذة عن الأسلاف ، مع الاحتفاظ لكل فرد يمقوماته النفسية ، وهي موجودة في هذا الحيز الصغير ؟[٢٢] .

إن هذا الدليل ، أحد الشواهد التي ساقها هذا العالم الممتاز ، وكلها سيقت لنقض مزاعم المنكرين باسم العلم للحقيقة الكبرى ، وبيان لتهافت هذه الدعوى باسم العلم ، والفرق بين العلمين واضح وظاهر ، لأن علم المنكرين علم أعرج أو إن شئت فقل علم ناقص . ومباحث هؤلاء لم تسلم في كثير منها من الخبط والتعصب ، أما العلم الحقيقي فهو بريء من هذا الإنكار والتعطيل ، الذي يشل العقول ، ويفقدها شجاعة الاعتقاد ، فإذا جاز له أن ينكر ، فإنما يجوز له ذلك بحجة واحدة ، هي أنه يجهل وليس لأنه يعلم ، ومن الجهل لا من العلم أن نجعل الجهل مرجعاً للوجود من أعلاه إلى أدناه ، فليقل العالم إنه يجهل ، لأن الأمر أكبر من أن يعرفه ويحيط بحدوده ، ولكن الأمر الذي لا يعرفه ولا يحيط بحدوده ، موجود لاشك ، ولإدراكه طرائق أخرى غير العلم . وعدم العلم ليس علماً بالعدم كما قال شيخ الإسلام « ابن تيمية » عليه رحمة الله .

ولعل أطرف ما قيل على لسان « موريسون » في مقام الرد على المنكرين لوجود علة كبرى وراء الكون المادي . تلك العبارات التي قال فيها : « لقد قال « هيكل » أعطني هواء ومواد كيماوية ووقتاً وأنا أصنع إنساناً ، ولكنه أغفل وحدات الوراثة « الجينات » وأغفل الحياة نفسها ، لقد كان عليه لو استطاع أن ينظم الذرات غير المرئية ووحدات الوراثة ، ويمنحها الحياة ، وحتى في هذه الحالة كانت النتيجة بنسبة واحد إلى ملايين ، إنه كان يأتي بوحش لا مثيل له ، ولو أنه نجح في ذلك لقال إن الأمر لم يكن مصادفة ، ولكن ثمرة عقله !! حقاً إن الله يخلق معجزاته بأساليب تخفى على الأذهان[٢٣] .

وما كان لهذا العالم أن يتوسع في السخرية باسم العلم من هؤلاء الأدعياء ، بعد أن أصاب حقيقة عجزهم ، ومكامن تعجيزهم ، في حاجتهم إلى المادة التي

يمكن أن يصنع منها الإنسان في نظرهم ، وغفلتهم عن الجانب الحيوي الذي به تقوم الحياة ، وهل هناك أدعي للعجز والتعجيز من الاحتياج والقصور ؟[٢٤] .

والشاهد الآخر من باحثي هذا العصر ، على صحة انفراج أزمة الإنكار المفتعلة ، هو الطبيب الفرنسي الشهير « ألكسيس كاريل » صاحب كتاب «الإنسان ذلك المجهول» والحائز على جائزة « نوبل » عن بحوثه المتقدمة جداً في العلوم الطبية . لقد جعل من الإنسان في نطاقيه المادي والمعنوي محور دراسته ، ووضع يده على كثير من الظواهر ، يقف العلم عاجزاً عن تعليلها ، وجهل العلماء بها أصبح جهلاً مطبقاً ، لأن أغلب الأسئلة التي يسألونها لأنفسهم تظل بلا جواب ، فهناك جوانب في دنيا الإنسان الباطنية ، لا تزال غير معروفة ، فنحن لا نعرف - على سبيل المثال - حتى الآن ، مع التقدم العلمي الهائل ، الإجابة على أسئلة كثيرة مثل : كيف تتحد جزئيات المواد الكيماوية لكي تكون المركب والأعضاء المؤقتة للخلية ؟ وكيف تقرر «الجينس» الموجودة في نواة البويضة الملقحة ، صفات الفرد المشتقة من هذه البويضة ؟ ما طبيعة تكوينها النفساني والبيولوجي والفسيولوجي ؟ . إننا نعرف أن الإنسان مركب من الأنسجة والأعضاء والسوائل والشعور ، ولكن العلاقة بين الشعور والمخ لا تزال لغزا ؟ ، إننا مازلنا بعيدين جداً عن ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل العظمي والعضلات ، ووجود النشاط العقلي والروحي ، وما زلنا نجهل العوامل التي تحدث التوازن العصبي ومقاومة التعب والكفاح ضد الأمراض . . . إننا لا نستطيع أن نهب أي فرد ذلك الاستعداد لقبول السعادة بطريقة صناعية ، إن معرفتنا بحقيقة أنفسنا لا تزال بدائية في الغالب[٢٥] .

حقاً إن الإنسان على ضآلة حجمة مقيساً إلى بعض المخلوقات الأكبر منه حجماً ، سيظل مستودع الأسرار الإلهية ، وإن المساتير كلها في عالم الخلق قد انتهت إليه ، حتى لقد صدق ما قيل في شأنه :

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انتهى العالم الأكبر

ومن محاولات الإنسان المستمرة ، ودأبه الذي لا ينقطع بحثاً عن تفسير كثير من العلاقات تفسيراً يحمل التعليل الحقيقي لها ، سيشعر بالعجز التام ، إزاء كثير منها ، تلك التي تحكم كينونته ووجوده ، وسيكون هذا خطوة للاعتراف - متى استقامت نفسه ومنهجه - بما وراء عالمه من قوه مدبرة ، ويد صناع ، وسيكون الإيمان ، والإيمان وحده هو سبب هذا الاعتراف ، وليس الحس أو العقل أو كلاهما . وهذه نتيجة حتمية لعجز العلم - حتى وهو في ذروة نضوجه - عن التعليل الحقيقي للعلاقات كما أشرنا سلفاً .

إن النتائج التي أفرزها هذا البحث الممتاز « الإنسان ذلك المجهول » جعلت صيحات التطاول والكبرياء - التي ترددت في القرن الماضي - على الإيمان ، تتخاذل وتنزوي في هذا القرن ، لتبشر بفتح جديد للعلاقة بين الإيمان والعلم تجعل من عجز الإنسان عن إدراك كثير مما يحيا به ، بل وعجز العلم كذلك ، نقطة يقف عندها ليفسح مجالاً عريضاً وواسعاً للإيمان ، ولن يعرف الإنسان تلك الحقائق إلا عن هذا الطريق ، ومتى عرفها ، فإن هذا إيذان ببدء عصر حضاري جديد ، تتعانق فيه الحقائق المدركة مع مالم تدرك ، لأن العلم والإيمان معاً سيملآن حياة البشر[٢٦] .

٦ - الايمان والحضارة المادية :

المقصود من وراء إثارة العلاقة بين الإيمان والحضارة هو الإجابة على هذا السؤال : هو يمكن قيام حضارة على علم بلا إيمان ؟ وحسم هذه القضية بالمنهج العلمي سيسهم إلى حد بعيد في تأكيد الفكرة المحورية التي يدور حولها هذا البحث .

الحضارة في أدق تصورها ، هي انعكاس لمطالب الإنسان من حيث هو ، ولما كانت هذه المطالب أوسع من أن تكون مقصورة على مطالبه المادية ، فإن أشواقه الروحية ، لابد أن تكون داخلة في المركب الحضاري ، وعنصراً من

عناصره ، إن لم تكن أهم تلك العناصر ، وهذه مسألة متصلة بطبيعة الإنسان نفسه ، وحينئذ تكون العلاقة بينها وبين المطالب الأخرى المكونة لهذا المركب ، علاقة ترابطية ، من ثم نرى أن أية حضارة أغفلت جانباً ضروريا لحياة الإنسان حياة سوية- والناحية الروحية هنا هي المقصودة - تكون قد حكمت على نفسها بالانهيار ، ويظهر لكل دارس بأدنى جهد ، أن أسباب قيام الحضارات وانهيارها ، يدور مع تمام تلك العناصر وتكاملها وجوداً وعدماً ، إذ هي العلة الحقيقية وراء قيام الحضارة إذا وجدت ووراء انهيارها إذا عدمت .

والواقع والتاريخ يحدثاننا بذلك في وضوح . وقد حكى القرآن قصة قوم فقدوا في أنفسهم أسباب بقاء مستواهم الحضاري كنموذج حي يحيون في ظله ، ففقدوا بالتالي مركزهم هذا . وعند ذاك لم تذرف السموات والأرض الدمع حزناً عليهم ، ضنا منها بذلك ، لأنهم غدو لا يستأهلون ما كانوا فيه ، كما أصبحوا أهلاً لأن يغمض التاريخ عيونه عنهم ، بل سلكهم في عداد الذين أجرموا ، عند ما تجاوزوا حدود النظرة الصحيحية للإنسان السوى ، قال تعالى : « ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ، أن أدوا إلى عبادي الله إني لكم رسول أمين ، وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين ، وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون ، وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ، فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ، فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون ، واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون ، كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين »[٢٧] .

إن الإنسان ليس ذلك الكيان المادي ، الذي يشغل حيزاً من الفراغ فحسب ، ولكنه مزيج من المادية والروحية معاً ، وليس لنا أن نقرر أكثر من هذا بعد ما بيناه من مباحث سلفت . وإذا كان العلم قد تكفل بإشباع الجانب المادي فيه ، باكتشاف ما يلائم حاجاته ، وما يحفظ عليه كيانه هذا ، فإن الجانب الآخر

هو أيضاً في حاجة إلى إشباع ، وليس من سبيل إلى هذا الإشباع إلا بالدين الصحيح ، الذي يملأ على الإنسان كيانة الروحي .

وإشباع هذه المطالب في جانبيها : المادي والروحي بالنسب المتعادلة بحيث لا يطغي أحد الجانبين على الآخر ، هو الذي يحفظ على الإنسان حيويته ونشاطه ، كما يجعله في وضع سوى ، يتسق مع طبيعته ، فلا ينزل به إلى مستوى الحيوانات ، إن أشبع جانبه المادي فقط ، ولا يرتفع إلى مستوى الملائكة ، الذين هم من طبيعة مخالفة لطبيعته إن أشبع جانبه الروحي على حساب جانبه المادي .

وما يقال على الإنسان الفرد ، يقال أيضاً على المجتمع . وفي تقديري أن أي دراسة عن الحضارات تتجاوز تلك التعادلية في كيان الإنسان ، لا تكون دراسة علمية ، وهي في ذات الوقت تعبر عن نزعات خاصة ، وهوى متبع .

ومن أظهر الباحثين المعاصرين ، الذين لهم رأى مرموق في قيام الحضارات وإنهيارها المؤرخ الإنجليزي « أرنولد توينبي » إنه يصرح بأن انحلال الحضارات يرافقه فساد يدب في أرواح الناس ، وتغيير جذري يطرأ على سلوكهم ومشاعرهم وحياتهم كلها ، ويحل محل الصفات الباهرة والقوى المبدعة ، التي كانت تزخر بها ذواتهم في دور النمو الحضاري ، ثنائية من النزعات والمواقف العقيمة المتناقضة ، وفي هذا الدور يتعرى الفساد الروحي عن فوضوية في الأخلاق ، وانحطاط يسود الآداب والفنون »[٢٨] .

ويبدو من كلام هذا المؤرخ أنه قد حدد العلاقة بين الجانب المادي والجانب الروحي في كيان الإنسان ، غير أنه قلب المسألة - في تقديري - إذ يرى أن التردي في الناحية المادية يتبعه - كنتيجة لذلك - التردي في الجانب الروحي والأخلاقي ، وهذا تجاوز في تقدير كل من الجانبين المادي والروحي وأثر كل منهما في قيام أو سقوط الحضارة ، إذ الحقيقة التي لا يمكن للعقل أن يردها ، أن الجانب الروحي في الإنسان ، هو السبب الحقيقي لما وراء سعيه وممارساته من حيوية ونشاط ، أو كسل وخمول ، وقيام الحضارة أو سقوطها ، يتحدد بنشاط الإنسان

أو خموله ، ما في ذلك شك . ولعل هذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم - وقضاياه حاسمة وأحكامه نهائية في كل قضية يتعرض لها - إذ نراه يرتب اضمحلال الحضارة أو إزدهارها على الواقع النفسي والأخلاقي الذي تحيا عليه الأمة ، فيقول : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »[٢٩] . ويقول أيضاً : « قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون »[٣٠] . ومعلوم أن تغيير ما بالنفس سبب كاف لتغيير الواقع المادي - إيجاباً أو سلباً - حسب نوعية التغيير وأهدافه .

تلك سنة تكشف عن طبيعة العلاقة بين الجانب الروحي والجانب المادي في الحضارة الإنسانية ، ولا يملك العقل تجاوزها أوردها ، لأن صدقها أمر مقرر بحكم خالقية الله للإنسان ، الذي يتعامل معه بهذا القانون « سنة الله في الذين خلوا من قبل » والتجربة الواقعية - وهي من أقوى الشواهد - تؤكد ذلك وتدعمه .

فإذا نظرنا إلى التطبيق الواقعي لتلك السنة ، فإن النظرة الفاحصة ترينا أن القلق والاضطراب الذي يعاني منهما إنسان اليوم في ظل الحضارة الغربية ، إنما مرجعهما إلى الاستغناء بالجانب المادي - غالباً - وعدم التقدير الكافي - إن وجد هذا التقدير - للجانب الروحي والأخلاقي ، الأمر الذي أصبح معه ذلك الإنسان يحيا بغير أهداف عليا ، وصار لا يفهم من الحياة إلا كونها مسرحاً لتبادل المنافع المادية .

إن العلم في ظل هذه الحضارة جعل الإنسان عبدا للآلة التي اخترعها بيده ، بدلا من أن يكون سيدالها ، أو على أقل تقدير نظر إلى رسالة العلم من تلك الزاوية المادية الضيقة ، فسخر طاقاته لإشباع رغباته ومطالبه المادية ، ناسياً أو متناسياً ، أخلاقيات هذا العلم وضوابطه ، التي تحفظ عليه توازنه ، والتي تنجز من وراء مراعاتها وتطبيقاتها خيراً للإنسان من حيث هو ، وتقف أمام المعاني

الحقيقية للحضارة ، تلك التي تتعادل فيها أشواق الروح مع مطامح القوى الشهوانية في الإنسان .

لقد أحس هذا المعنى بعمق المفكر المسلم المعاصر ، الدكتور محمد إقبال ، وإحساسه هذا كان وليد تعمقه وتغلغله في داخل الحضارة الغربية . وتلمسه للأسباب الحقيقية وراء التمزق والاضطراب في إنسانها المعاصر ، على الرغم من تلك الغلالة المبهرة من مظاهر المدنية والتقدم ، فقال : « إن إنسان العصر - وبخاصة في البلاد الغربية - على الرغم مما له من فلسفات نقدية ، وتخصص علمي ، يجد نفسه في ورطة ، فمذهبه الطبيعي ، قد جعل له سلطاناً على قوى الطبيعة ، لم يسبق له مثيل ، لكنه قد سلبه إيمانه في مصيره هو ، إن نشاطه المادي والعقلي جعله يكف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحانية الكاملة ، التي تتغلغل في أعماق النفس ، فهو في حلبة الفكر في صراع صريح مع نفسه ، وفي مضمار الحياة السياسية والاقتصادية ، في كفاح مرير مع غيره ، ويجد نفسه أيضاً غير قادر على كبح أثرته الجارفة ، وحبه للمال حبا طاغياً ، يقتل كل ما فيه من نضال سام شيئاً فشيئاً ، ولا يعود عليه منه إلا تعب الحياة ، وقد استغرق في الواقع ، فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده ، تلك الأعماق التي لم يسبر غورها بعد ، وأخف الأضرار التي أعقبت فلسفته المادية ، هو ذلك الشلل الذي اعترى نشاطه ، والذي أدركه « هكسلي » وأعلن سخطه عليه »[٣١] .

إن في أعماق إنسان اليوم فراغ موحش ، لا يمكن أن تملأه حضارة مادية ، وسوف لا يكف عن هذا النداء الداخلي : من أين ؟ وإلى أين ؟ ولم ؟ ولا سبيل إلى الإجابة الصحيحة على ذلك النداء إلا أن يملأ وجدانه وروحه ومشاعره بالدين الصحيح ، ذلك الدين الذي تقدم بالإجابة الواضحة الصريحة على تلك الأسئلة ، في الوقت الذي نرى فيه العلم يمسك عن الإجابة ، بحجة أن ذلك من قبيل الميتافيريقا ، كما أن الفلسفة من جانبها لم تقدم إجابة صريحة واضحة متسقة ، على تلك النداءات .

إن حضـــارة اليوم إذا ظلت هكـــذا . فلن تكـون أسعـد حظاً من تلك الحضارات التي عاشت الأمم السابقة في ظلها ، وهي الأخذ بالذنب ، نتيجة الإدبار عن الإيمان الصحيح بالله ، إيماناً يستأهل به الإنسان الخلافة الحقيقية عن الله في أرضه ، وتبديله لواقعه المخيف إلى الأمن والاستقرار : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الـذي ارتضى لهم وليبـدلنهم من بعـد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »[٣٢] .

من هذه الآية وغيرها ، من النماذج التي عالجت قضية الإقبال أو الإدبار عن الإيمان بالله ، وثمرة كل من الموقفين ، نفهم أن التمكين في الأرض سنة لا تتيسر إلا للمؤمنين ، الذين ينضح إيمانهم بالخيرات والأعمال الصالحات . وهل هناك أولى من تلك الصـورة لتكون عنواناً على الحضارة الحقيقية ؟ وفي المقابل نرى صورة الحضارة المتداعية ، تلك التي لم تقم على أساس من الإيمان الصحيح « قد خلت من قبـلكـم سنـن فسـيروا في الأرض فانـظروا كيف كان عاقبـة المكذبين »[٣٣] . « فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ، ومنهم من أخـذتـه الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »[٣٤] .

أما بعد : -

فلا نملك - في نهاية المطاف - إلا القول بأن المباحث العلمية إذا أخذت طريقها الصحيح فلن تكون إلا فتحاً جديداً لعالم الروح ، وحينئذ ستأخذ بيد الملحـد أخذ صحيحاً متأنياً إلى واحة الإيمان الوارفة الظلال ، وستبدل موقف المؤمن المقلد إلى إيمان قائم على الـبرهان والاستدلال ، وستتوارى خلف ذلك التعـانق الحـاربـين معطيات العلم وحقائق الإيمان ، تلك النزعات والنزغات الالحـادية ، وسيظل سعي العلم مشـدوداً إلى الحقيقـة الكبرى ، وصدق الله

العظيم حيث يقول : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد »[٣٥] كما يتبين لكل ذي بصر أن الإلحاد إفلاس علمي قبل أن يكون عجزاً روحياً ، وسيظهر فشل كل المحاولات التي تريد اختراع دين طبيعي أو إنساني ، أو تجعل من بنات الأفكار المتباينة دينا ملفقاً . وسوف تشرق شمس الإيمان من جديد ، في عالم يحكمه المتواضعون ، الـذين صفت نفـوسهم من الغـرور الكاذب والادعاء المقيت ، أولئكم الذين يعرفون موضوع الإيمان الصحيح معرفة تنساب من العقل إلى القلب فتثلجه ببرد اليقين وتنيره بطاقة الإيمان ، أولئك الذين تحدثت عنهم كتب الله الصادقة برؤية مستقبلية ، بأنهم ورثة الحياة الطاهرة النظيفة على مسرح تلك الأرض : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، إن في هذا لبلاغاً لقومٍ عابدين »[٣٦] .

الهوامـــش

(١) دكتور / محمد عبد الله دراز . الدين - ص ٧٥ ط . ثالثة . القاهرة سنة ١٩٧٥ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) دكتور محمد غلاب . الفلسفة الإغريقية جـ١ ص ١١٣ ط القاهرة سنة ١٩٦١ .
(٤) انظر بالتفصيل : ابن سينا . الإشارات والتنبيهات ، نمط الوجود وعلله جـ ٣ ص ١٧٥ . ط دار المعارف . القاهرة سنة ١٩٦٢ .
(٥) الغزالي : تهافت الفلاسفة - ص ٢٣٩ ط سادسة . دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٨٠ .
(٦) نفس المصدر .
(٧) فرانك ألن . نشأة العالم هل هي مصادفة ص ٦ من كتاب « الله يتجلى في عصر العلم » ط ثالثة . القاهرة سنة ١٩٦٨ .
(٨) نقلا عن : وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ص ٤٢ ط تاسعة مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٨٥ .
(٩) نفس المصدر ص ٤٤ .
(١٠) نديم الجسر . قصة الإيمان ص ٢٩٣ ط بيروت بدون تاريخ .
(١١) العلم يدعو للإيمان ص ٥١ ط القاهرة سنة ١٩٦٥ .
(١٢) سورة الأعراف . الآية ١٧٢ .
(١٣) دكتور محمد كمال جعفر : في الدين المقارن ص ٣٤ ، ٣٥ ط . القاهرة سنة ١٩٧١ .
(١٤) العلم يدعو للإيمان ص ٧٠ .
(١٥) نفس المصدر .
(١٦) الإسلام يتحدى ص ٨٤ .
(١٧) نفس المصدر .
(١٨) نفس المصدر .
(١٩) العلم يدعو للإيمان ص ٤٦ .
(٢٠) نفس المصدر ص ٢٠٢ .
(٢١) عباس محمود العقاد : كتاب الله ص ٢٨٨ ط . القاهرة سنة ١٩٤٩ .
(٢٢) العلم يدعو للإيمان ص ١٣٩ .
(٢٣) نفس المصدر ص ١٥٠ .
(٢٤) عباس العقاد . كتاب « الله » ص ٢٩١ .

(٢٥) ألكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ص١٨ . ط مؤسسة المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ .

(٢٦) نفس المصدر ص ٣٥٩ .

(٢٧) سورة الدخان : الآيات من ١٨ - ٢٩ .

(٢٨) د . عماد الدين خليل : التفسير الإسلامي للتاريخ ص ٨٧ ط بيروت سنة ١٩٧٩ .

(٢٩) سورة الرعد : آية ١١ .

(٣٠) سورة النحل : آية ٢٦ .

(٣١) تجديد التفكير الديني في الإسلام ص ٢١٥ الطبعة الثانية - القاهرة سنة ١٩٦٨م .

(٣٢) سورة النور : آية ٥٥ .

(٣٣) سورة آل عمران : آية ١٣٧ .

(٣٤) سورة العنكبوت : آية ٤٠ .

(٣٥) سورة فصلت : آية ٥٣ .

(٣٦) سورة الأنبياء : الآيتان ١٠٥ ، ١٠٦ .